

مِنْ أهدافِ القِصَّةِ في القرآن



وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُوا بِرَسُولِهِ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِاللَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (الأنعام / 10).

(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيَحْزَنُونَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَئِنَّ الظَّالِمِينَ بِلآيَاتِنَا لَجاحِدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا وَعَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنزَلْنَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِنَا * وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْأُمُورِ سَلِينَ * وَإِن كَانَ كَاطِرًا عَلَیْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَاعَتْ أَن تَبْتَغِيَنَ فَعَفَا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلِّمَ فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلاَ وَشَاءَ * لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (الأنعام / 33 - 35).

(وَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَعَلَيْكَ مِنَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ) (هود / 120).

(وَإِنْ يَكْفُرْ بِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنَمُودٌ * وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ
لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) (الحج/ 42 - 44).

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْأُمَّةِ جَرَمِينَ وَقَفَىٰ بِرَبِّكَ
هَادِيًا وَنَصِيرِ) (الفرقان/ 31).

(إِنَّمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ
قَصَصْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْهِمْ وَكَلَّمْنَا
تَكْوِيمًا * رُسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَتَّقُوا وَلِيُنذِرُوا
بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ آخِرُ عَزْزِيزًا حَكِيمِ) (النساء/ 163 - 165).

يستعرض القرآن الكريم في هذه الآيات أساليب الاستهزاء والإيذاء والتكذيب التي قُوبل بها الأنبياء
السَّابِقُونَ من قِبَلِ شياطين الإنس والجن، فكانت مواقفهم تمثِّل الصَّير والصُّمود، حتى جاءهم
النَّصْر من عند الله، لتوحي إلى النبيِّ أوَّلًا، بأنَّ عليه أن يكون امتدادًا لهذا التَّاريخ العظيم،
وإلَّا فليحاول أن يبتغي نفاقًا في الأرض أو سُلْماً في السَّماء، لأنَّ ذلك هو سنَّة الله في الحياة
في رسالاته وفي رسله (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)
(فاطر/ 43)، فلا رساليَّة إلاَّ بالجهاد، ولا جهاد إلاَّ بالصَّبر.

ولعلَّنا نخلص - من خلال هذا العرض - إلى النتيجة العمليَّة في الدراسات الدينيَّة التي يحتاج إليها
الداعية في ثقافته الذاتِيَّة، وفيما يقدِّم للآخرين من عطاء ثقافي إسلامي يستهدف ربط حركة الدين
الحاضرة بالحركة الدينيَّة الممتدَّة في أعماق التاريخ، وهذا ما تجسَّد في قصص النبيِّين كتجربة
للدَّعوة، وكمناطق للحركة، وكموقف للتنفيذ... وإجراء مقارنة واعية بين واقع الرسالات في تصوير
القرآن لها بالصَّورة الدقيقة المشرَّفة، وبين ما أُضيف إليها من تزوير وتشويه وتزييف في التاريخ
الموضوع الذي أُريد له أن يقدِّم إلينا الصورة المشوَّهة القائمة لحركة الرسالات ولشخصيَّة الرسل.

إنَّنا نوكِّد هذا الجانب الثقافي من دراساتنا الدينيَّة، لأنَّه يمثِّل أحد العناصر الحيَّة
لبناء الشخصيَّة الثقافيَّة الدينيَّة، فيما تملكه من انطباعات، وفيما تحمله من تصوُّرات، وفيما

تؤمن به من تفاصيل العقيدة.

وقد يبدو للبعض من النَّاس، أنَّ هذا الجانب القصصي لا يرتبط بنا بشكل مباشر، لأنَّ علاقاتنا بالأنبياء السابقين والإيمان بهم إنَّما تقتصر على مستوى أخذ العلم والخبر بوجودهم وبرسالاتهم، من دون أن يكون لذلك أثر عملي في حياتنا العامَّة والخاصَّة، لأنَّ علاقاتنا الرساليَّة بهم - حسب رأيهم - تبدأ بالنبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) وبرسالته وشريعته وتنتهي به، فهي المنطلق الوحيد لنا من ناحية فكريَّة، وهي المصدر الأساس من الناحية التشريعيَّة.

ولكنَّنا نرفض هذه الفكرة، لأنَّ القرآن الكريم قد أكَّده وحدة الرسالات، كما أكَّده وحدة الإيمان بالرسُل، كما يشهد به قوله تعالى:

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَمَا كُنَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (البقرة / 136).

وبهذا، فإنَّ المسلمين يتبنون كلَّ ما جاء به الأنبياء ممَّا حدَّثنا عنه القرآن الكريم والسنة الصحيحة، إلَّا ما ثبت نسخه لارتباطه بظروف موضوعيَّة محدودة بزمان ومكان معيَّنين، لأنَّ الإسلام يتبنَّى ذلك ويزيد عليه، انسجاماً مع كلمة النبيِّ مُحَمَّدٍ (ص): «إنَّما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق».